ويتمنى من الله أن ينتصر الروس بحجة أن هزيمتهم لصالح الأمريكان، وما علم هؤلاء سواء كانوا سياسيين أو زعماء أو عامة أن هذا هو عين النفاق ـ الحزن والأسف على انتصار المسلمين والأسى على الكفار وما أصابهم ـ، وحدِّث ولا حرج عن أمثال ذلك وما هو أشد من ذلك، وإذا عايشت واقع المسلمين وجدتهم ـ إلا من رحم الله ـ يقعون في هذه الصفة القبيحة؛ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: ٥٠)، فكان الجواب لهؤلاء: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

٦ ـ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف

يقول الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧)، إن إقامة المعروف والأمر به يغضبهم ويحنقهم لأن معناه إقامة الدين، وهم لا يريدون ذلك أبدًا، فما كان منهم إلا أنهم يأمرون بالمنكر

بشتى أنواعه؛ فيأمرون بالإشراك بالله وعبادة غيره، يأمرون بقطع الصلاة وينفِّرون منها، يأمرون بقطيعة الأرحام وعقوق الوالدين . . بالسرقة . . بالزنى واللواط، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فأدخلوا وسائل الإعلام إلى بيوت المسلمين لإفسادهم وإخراجهم من العفَّة إلى الفاحشة، أقاموا النوادي الليلية والمسارح ودور السينما وأشعلوا الفتن بين المسلمين حتى لا تقوم لهم قائمة، هذه الأيدي التي تدعي الإسلام تعمل كل هذا وتارة تبرر مواقفها بحجج أوهى من خيوط العنكبوت كالتقدم والتطور ومشاركة المرأة للرجل والمجتمع يعيش برئة واحدة وإلى غير ذلك من دعاية المنافقين من علمانيين وأشياعهم فلا يقدرون على العيش في مجتمع مستقيم، فحياتهم في مجتمعات الرذيلة والفاحشة حتى تطمئن قلوبهم وتستريح نفوسهم، ولم يقف خطرهم عند الأمر بالمنكرات، لا! بل وصل الأمر إلى النهي عن المعروف؛ فتارة أقامت الشعائر الدينية تنطع وتشدد وتزمت وارتداء الحجاب تخلف، والحكم بما

أنزل الله سيؤدي إلى ضياع الأمم وتشتتها وإشعال الحروب والفتن لابد من منع المحاضرات والدروس، لابد من إخماد أنفاس الدعاة، لابد من وأد الدين إلى الأبد؛ فما من معروف أمر الله به وحض ورغب به إلا وقفوا صفًا منيعًا في محاولة إسقاطه والتخلي عنه حتى أصبح الكثير من المسلمين يخافون من إظهار الشعائر في العبادات والمعاملات والهيئة مما يشيعه هؤلاء من كذب وبهتان عن الالتزام بالدين، هذا هو نشاطهم وهذه حياتهم؛ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٧ ـ الطعن في أعراض المؤمنين

قام المنافقون في عهد رسول الله ﷺ بإثارة قضية خطيرة للغاية وهي الخوض في حادثة الإفك وإثارة البلبلة في أوساط المسلمين واستغلال الموقف لشن الحملات الشديدة على رسول الله ﷺ، إن حادثة الإفك التي خاض فيها المنافقون وبعض الصحابة كان يهدف المنافقون منها تلطيخ

سمعة رسول الله ﷺ ، وإذا شوهت سمعته فسيكون قادحًا في الدين وفي رسالته، فكان هدفهم تدمير الدين عن طريق تدمير رسول الله ﷺ عند الناس بالطعن في عائشة وصفوان بن المعطل، وكادت أن تحدث فتنة بين الصحابة، فقد قام سعد بن معاذ بعد أن قام رسول الله ﷺ ، فقال: «أشيروا عليَّ في أناس أبنُو أهلي، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء قط، وابنوهم بمَن؟! والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي»، فقال سعد: يا رسول الله، ائذن لنا أن نضرب أعناقهم، فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل، فقال: كذبت، أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد، واستمرت الأحداث شهرًا كاملاً ضاق المسلمون بها ذرعًا وخاض من خاض وعصم الله من عصم وحفظ الله المسلمين من فتنة بينهم والمنافقون يأججون النار، ولكن نزل كلام الله ليكون فاضحًا لهم ومحذرًا

لغـيرهم ولمن بـعدهم فـأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ (النور: ١١) .

وتتكرر مـثل هذه الحوادث إلى يومنا هذا، فـمتى رأى المنافقـون على داعية من الدعاة أو صـالح من صالحي هذه الأمة خيط يجرهم إلى إعلان حرب إعلامية عليه فإنهم لن يتأخروا لحظة واحدة عن إشعال الحرب فلا يخافون الله ولا يرقبون فـي مؤمن إلاًّ ولا ذمة، فالأمر سـهل أن يقال عن فلان زاني وفـلانة زانية وفلان لوطي وفلان يفـعل ويفعل، بالإضافة إلى قذفهم بالبهـتان والكذب يدسونها في أوساط المجتمـعات حتى تنزع الثقة من العلمـاء والدعاة والصالحين ويبقى الجو لهم - ولهم وحدهم - يعيثون في الأرض فسادًا.

فانتـبه أيها المسلم؛ أن تطعن في عِرض وشـرف مسلم بلا حـجة وتدبر الآيات السـابقـة التي نزلت في المنافـقين وحـذار أن تكون منهم، وليكن التـثبت والتـأكد شـعارك؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا

بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات: ٦)، وأما الصحابة الذين خاضوا في هذه القضية فلم تكن مقاصدهم مقاصد المنافقين ووقعوا في معصية حذرهم الله من العودة إليها وأمر الله أبا بكر أن يعفو عن مِسطح فقال تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ (النور: ٢٢)، أما المنافقين فقال عنهم: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ (النور: ١١)، فاللهم اعصمنا من الكلام في أعراض المؤمنين.

٨ ـ إنشاء مراكز الكفر والصد عن سبيل الله وتفريق المسلمين

وهذه الصفة قل من يتفطن إليها في هذه الأيام فنحن نجد أن المنافقين قد قاموا بإنشاء مراكز توصل الأعداء بكل عابث ينقل إليهم رسائل تخص المسلمين أو يستقبل تعليماتهم في عقر دار المسلمين، ومن الأمثلة الواضحة: السفارات التي تقام في بلاد المسلمين، فهي محطة وصل بين الأعداء والمنافقين، وهكذا الجامعات والمؤسسات

والهيئات الدولية وغيرها، كلها مراكز دسٍّ وتخريب وتفريق بين المسلمين وتجسس عليهم، أنشأها المنافقون من هذه الأمة ليكونوا على صلة وثيقة بالأعداء، وما يحدث في هذه الأيام يشبه تمامًا ما حدث في عصره ﷺ.

وأنزل الله فيه القرآن وإن كانت صورة العمل أشد خطورة إذا كانت متمثلة في المساجد وهي موجودة في هذه الأيام ولكن صورتها الأوسع في الذي ذكرنا وعلانيتها ويعلم بذلك المنافقون الذين أنشأوها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٧)، فلم تنته مهمتهم في الكفر ونشره وإشاعة الفاحشة ونقل أسرار المسلمين بل وصل إلى التفريق بين المسلمين إما عن طريق استخدام القاعدة فرق تسد، فيهيجون فئة على فئة أو عن طريق الوقوف مع فئة ضد فئة أو غير ذلك، المهم أن منافقي أيامنا

بنوا مساجد ومراكز وجمعيات ومقرات الصد والكفر والتفريق بين المسلمين والمسلمون في سكون وهدوء عجيب وغريب مع أن الواجب أن يحرقوا هذه الأفكار ويدوسوها بالأرض، والله المستعان.

■ قال الشوكاني في (فتح القدير) عن قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾؛ فقد أخبر الله سبحانه أن الباعث على بناء هذا المسجد أمور أربعة:

١- الضرار لغيرهم وهو المضارة.

٢- الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق.

٣- التفريق بين المؤمنين لأنهم أرادوا ألا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

٤- الإرصاد لمن حارب الله ورسوله، أي الإعداد لأجل من حارب الله ورسوله. اهـ.

٩ ـ التجسس لحساب العدو

ومن صفات المنافقين بحكم وجودهم في أوساط المسلمين ومعيشتهم معهم التجسس للعدو ونقل الأخبار لهم، ولا نعرف أن هناك من ينقل أخبار المسلمين بدقة غير المنافقين، فالأخبار العسكرية تنقل، والأخبار الصناعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية كلها ينقلها عملاً الاستخبارات الكافرة من المنافقين الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا، ولذلك يحذرنا الله تعالى أن نُطلع المنافقين على أسرارنا وأخبارنا التي تخدم العدو، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (آل عمران: ١١٨).

وكان معروفًا مشهوراً عن الصحابة أن من ينقل أخبار المسلمين وهو يظهر الإسلام فهو منافق تضرب عنقه وأوضح مثال على ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد،

فلما تجهز المسلمون للعدو دعا رسول الله ﷺ فقال: «اللهم عمِّ عليهم خبرنا»، فأرسل حاطب كتابًا وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من الغزو، فأطلع الله رسوله على ذلك، فبعث في آثار المرأة جماعة من الصحابة فاستخرجوا الكتاب منها فقرأه رسول الله ﷺ، وفيه من حاطب إلى أناس من المشركين بمكة، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟»، قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال عمر: «دعني أضرب عنق هذا المنافق»، وأقر النبي ﷺ عمر في قوله: «أضرب عنق هذا المنافق»، ومنه أخذ العلماء أن حكم الجاسوس القتل وأنه منافق ولم يكن لحاطب عذر إلا أنه كان قد شهد بدرًا، فقال رسول الله:

«إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

وليس التـجسس لحـساب أعداء الله الـعمل في جـهاز المخابرات الفلانية فحسب، إنه أعمُّ من ذلك؛ فيدخل فيه نقل الأخبـار التي تضر بالمسلمين في حيـاتهم الاجتماعـية والاقتصادية وغيرها فينقلون تفاصيل دقيقة جداً عن المجتمع المسلم ليسهل على المشركين اختراقه من حيث معرفة مواطن الضعف ومعرفـة أحوال المسلمين في نقل الشر من الخارج، بالإضافـة إلى عملهم في نقل الأخبار فـهم يد يستخـدمها العدو في الإفـساد بين المسلمين، فالله نشكو ضـعف قوتنا وقلة حيلتنا.

١٠ ـ نشر الإشاعات الكاذبة

والغـرض من ذلك تخـويف المـؤمنين وإثارة الفـوضى والرعب ونزع حالة الأمن من المجـتمع، وهكذا يدخل في ذلك كل شائعة كـاذبة يهدفون من وراءها الطعن في الدين

أو بأهله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ ينتهِ الْمُنافِقُون وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً﴾ (الأحزاب: ٦٠).

■ قال ابن كثير في قوله: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾؛ يعني الذين يقولون: جاء الأعداء وجاءت الحروب، وهو كذب وافتراء وإشاعة كاذبة.

١١ ـ إظهار الهيمنة والقوة على المؤمنين وهم أذلة جبناء ضعفاء

جاء في البخاري وغيره أن عبد الله بن أبي قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، والحديث بطوله عنده، فأنزل الله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)، هذه حال عبد الله بن أبي يعتقد أن رسول الله ﷺ القوي الشجاع المقدام ذليل وهو

العزيز مع أنه هو الذليل، إن الله قد فضحهم في مواضع كثيرة يخبر فيها عن جبنهم وخوفهم وذلهم وحقارتهم، ففي بداية سورة المنافقون يقول تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون: ٤)، وقال في موضع آخر: ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (التوبة: ٥٦)، وقال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (التوبة: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر: ١٣)، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٠).

هذه هي حقيقتهم؛ الضعف والجبن والذل ولكن لأن شوكة الإسلام ضعيفة ولما قل ناصروه بدأ الأحداث يتطاولون على الأبطال الشجعان، إن كل مؤمن في قلبه شجاعة أشد من الجبال وأقوى من الحجارة، وكل شيء يهون في سبيل الله، والروح تقدم رخيصة لله تعالى، وهم

الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (المائدة: ٥٤)، وقال عنهم: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، وأما أولئك فيكفي أنهم إذا سمعوا القتال تذوب قلوبهم من الخوف؛ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ (محمد: ٢٠-٢١).

١٢ ـ أصحاب وجهين

إن شر الناس عند الله ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ومنهم المنافقون فهم هكذا يتقمصون الصفات القبيحة النتنة ومنها هذه الصفة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ (البقرة: ١٤)، فكانوا بوجه: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة: ١٤).

وهذا ابن عمر يبين أن صـاحب الوجهين منافق؛ جاء في البخـاري أن ناسًا قالوا: إنَّا ندخـل على سـلاطيـننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: «كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ»، وفي هذه الأيام نجـد أن شـريحـة من المجتـمع عـلى هذا المنوال، يريدون أن يجمـعوا بين الحق والباطل والهـدى والضلال، فإذا كانوا مع المؤمنين قالوا: أنتم على حق، وإن كانوا مع غيـرهم، قالوا: إنكم على حق، وفي كل مـوضع يذمون الفئة الأخرى.

والغرض والقصد المصالح فما جمعهم بين طائفتين إلا المصلحة أو الخـوف وهو الغالب، وما عرفوا عـقوبة ذلك. أخـرج البخـاري في (الأدب المفرد) عن عـمار بن ياسـر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان ذا وجهين في الدنيا كان له لسانان يوم القيامة من نار».

١٣ ـ مؤذاة رسول الله قولاً وفعلاً

قد يقول قائل: قد انتهت مؤذاة رسول الله ﷺ بعد موته فلا داعي لذكر هذه الصفة، والجواب أن مؤذاة رسول الله تكون بعد موته أيضًا عن طريق سبه أو الاستهزاء به أو تنقصه أو محاربة سنته، المهم أننا نعرف أن مؤذاة رسول الله ﷺ حيًا وميتًا هي من صفات المنافقين، وقد آذاه المشركون مؤذاة شديدة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ (التوبة: ٦١).

■ وفي سبب نزول المعوذات تفضح العداوة الحقيقية للمنافقين على رسول الله ﷺ، فقد سحر رسول الله واحد من هؤلاء المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام كما في الصحيحين، قال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومَن طبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم» ـ رجل من

بني زريق حليف اليهود ـ كان منافقًا وقد توعد الله الذين يؤذون رسول الله باللعنة والعذاب الأليم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)، بل وصل الحد بهم إلى أن حاولوا قتله ﷺ وتربصوا به حتى فضحهم الله وأعلم نبيه بهم، وأسر النبي ﷺ لحذيفة بأسمائهم.

١٤ ـ الكذب

ومن صفاته الملازمة لهم الكذب على الله أو على رسوله أو على المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١)، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّار هُمْ فِيهَا خَالِدُون (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُون لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (المجادلة: ١٤-١٨)، وقال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾، فكذبهم الله وقال: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ﴾ (التوبة: ٧٤)، وقال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (التوبة: ٥٦)، وقال: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ (النور: ٥٣)، وغيرها من الآيات التي تدل على أن الكذب من أوصافهم التي لا يستغنون عنه أبدًا حتى جعلها رسول الله ﷺ من علاماتهم الشهيرة.

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث - وفي رواية: علامة المنافق ثلاث -: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». وإذا تتبعنا أحوال المسلمين في هذه الأيام لوجدنا الكذب يطغى طغيانًا كبيرًا عليهم، فالأب والأم والابن والموظف والبائع والمشتري وهلم جرا، وكلهم

يتعلمون الكذب إلا القليل منهم من يصدق حتى فقد الناس الثقة من بعضهم وأصبح الرجل والمرأة لا يصدق أحدهما الآخر حتى بالأيمان المغلظة، وهذه من الطوام التي استفحلت في المسلمين، وحسب هؤلاء أن يقرءوا أقوال رسول الله ﷺ في سياق حديثه: «**وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» (رواه البخاري ومسلم).

فهؤلاء المنافقون حرصوا على هذه الصفة وتحروها؛ كتبوا عند الله من الكذابين، وخسرانهم عندما: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (الزمر: ٦٠)، وهذا الخسران يتبين يوم القيامة، فإنهم حدثوا النبي ﷺ فكذبوه كما نصت بذلك الآيات، ولو أنهم صدقوا لكان خيرًا لهم، وما كان كذبهم في حديثهم مع الناس إلا خيانة لهم مع صدق نيات من حولهم وتصديقهم لهم وهم لا يعلمون

ما يجول بخاطر هؤلاء من الخديعة وقد توعدهم رسول الله ﷺ حيث قال: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت به كاذب»، وما تجرأ عليه إلا أصحاب القلوب المريضة والعقول الهشة التي لا تبالي بما يحدث من جراء كذبها الذي هو أساس النفاق كما كان يقال أساس النفاق الذي بني عليه الكذب، ويكون مصداق ذلك في كتاب الله إذ يقول جل ثناؤه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ١).

ولذا كان الواجب على المسلمين اجتناب الكذب، قال الشعبي: من كذب فهو منافق، ومن أصر على النفاق فعلى المجتمع ألا يصدقه؛ ﴿قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ (التوبة: ٩٤)، أي: لن نصدقكم فقد عرفنا كذبكم، ولا يكون المسلم محل اللدغ، ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين.

١٥ ـ الخيانة

تقدم الحديث أن آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان. والأمانة التي تخان ليست في الودائع فحسب بل في الصلاة والصوم وغير ذلك، فهي أعم مما يعتقد كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

١٦ ـ إخلاف الوعد والعهد

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «علامة المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر»، فإخلاف الوعد والعهود والغدر هي من صفات المنافقين التي يئن المجتمع منها هذه الأيام، فلا تجد صدقًا في المواعيد ولكن تجد تهاونًا فيها سواء في الشركات أو المؤسسات أو غير ذلك بخلاف الأشخاص، فحدِّث ولا حرج حتى تعوَّد الناس على هذا الأمر فلم يعد كثير من الناس يبالون بالعقود

والعهود لتجربتهم المستمرة في إخلاف الوعد ونقض العهد، ولكن الأدهى والأمرَّ أن الوعد والعهد يكون مع الله فيخلف وينقض، فما بعد هذا النفاق من نفاق، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة: ٧٥-٧٧)، والأدهى في إخلاف الوعد أنه يتضمن الكذب وفي الغالب نقض العهد.

١٧. البخل

ولعدم وثوقهم بما عند الله والدار الآخرة فإنهم يحرصون على الدنيا وجمع الأموال، ولا ينفقونها في سبيل الله، قال الله عنهم: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة: ٦٧)، وإذا اضطروا إلى الإنفاق فهي عن مشقة وكره؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤)،

وقال بعدها: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (التوبة: ٧٥-٧٦).

١٨ ـ الرياء

بسبب أن ظاهر هؤلاء هو الاستقامة وباطنهم الكفر كانت استقامتهم الظاهرة التي لم توافق الباطن هي من أجل الناس لا لله؛ لأن الباطن ما أعطى لله شيئًا منه، فلما لم يخلصوا في عبادتهم لله كانت من أجل الناس، فهم إذا صلوا للناس وإذا زكوا كذلك، وهكذا في كل عبادة يريدون بها وجه الناس لا وجه الله تعالى. فلذلك وصفهم الله في أكثر من آية أنهم يريدون بعملهم الدنيا، فقال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٢)، وعند عدم وجود من يراهم تركوا

العبادة، فلا صلاة عشاء ولا فجر، فكانت أثقل الصلاة عليهم، وأما قراءة القرآن أو حفظه فإنه من أجل الناس رياء وسمعة، فلذلك قال رسول الله ﷺ يحذر من هؤلاء ويبين عوارهم ويفضحهم، قال: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»، من حديث عقبة بن عامر، وهو صحيح.

■ قال البغوي: فهو أن يعتاد شرك الإخلاص في العمل، وقال سفيان الثوري: ما شبهت القارئ إلا بالدرهم الزيف إذا كسرته خرج ما فيه.

١٩ ـ التكاسل في العبادات

والمشهور عن المنافقين والمعلوم بالضرورة عندهم التكاسل والتباطؤ في إقامة العبادات، وقد تقدم أنهم إنما يقومون بها رياء وسمعة فهي ثقيلة جداً، فعند الصلاة يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢)، وهكذا بشكل عام في جميع الصلوات، وقد

ذكر النبي ﷺ بيانًا لذلك بشكل أوضح؛ فذكر أن المنافقين لا يصلون الفجر مع الناس والعشاء فقال: «**أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوًا**».

فجميع الصلوات ثقيلة ولكنها أثقل في الفجر والعشاء، وابن مسعود يقول كما في الصحيحين أيضًا: «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق**»، والمراد بالتخلف عن صلاة الجماعة، فكانت من صفاتهم المشهورة عند الصحابة التخلف عن الصلاة، ومما يؤكد أكثر تخلفهم عن الصلاة الجماعة وكسلهم في أداء الصلاة ما جاء في الصحيح من حديث أنس: «**تلك صلاة المنافق: يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله إلا قليلاً**».

■ فسبحان الله! إذا كان المنافق يصلي ويتكاسل في أدائها فكيف بمن تركها؟!.

ومما عاب الله على المنافقين أيضًا قوله: ﴿ولا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إلاَّ وهُمْ كُسَالَى﴾ (التوبة: ٥٤)، وأما في ذكر الله فقد تقدمت الآية: ﴿ولا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

وفي الحديث السابق: «لا يذكر الله إلا قليلاً»، وأما في قراءة القرآن فإنه وإن قرأه فهو كالريحانة ريحها طيب ولكن طعمها مر، فالظاهر حسن والطعم والحقيقة مرة، وأما في الإنفاق فإنهم لا ينفقون إلا كرهًا أو رياء وحقيقتهم أنهم لا يريدون الإنفاق.

فلذلك عنفهم الله تعنيفًا شديدًا فقال: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٥٣-٥٤)، وهكذا في جميع العبادات لأنهم لا يؤمنون بها، فكيف يؤدونها وهم يحاربونها فكيف يقيمونها وقد تركوها؟!

٢٠ ـ ترك الجهاد أو تحديث النفس به

ولأن المنافقين جبناء ضعفاء أعداء ألداء للدين ولأهله، فهم لا يريدون الجهاد ولا يدخلون فيه ولا يحدثون أنفسهم به، وقد تقدم أن المنافقين كانوا يتخلفون عن الجهاد ويأتون بالمعاذير الكثيرة التافهة، ولما كان الأمر كذلك جعل النبي ﷺ حكم الذي لا يجاهد ولا يحدث نفسه بجهاد إذا مات مات على شعبة من النفاق؛ كما في مسلم من حديث أبي هريرة: «من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق»، وكم هم المسلمون الذين لا يغزون ولم يحدثوا أنفسهم بالقتال في سبيل الله، فاللهم اعصمنا من النفاق.

ولهذا اختبر الله المنافقين المتخلفين عن الجهاد الذين تركوه فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦)،

فهكذا وعيد للذين يتركون الجهاد ويتخلفون عنه إذا دعوا إليه، وقد ذكر الله آيات كثيرة تدل على تخلف هؤلاء عن الجهاد، منها قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٨١)، وغير ذلك من الآيات التي قد ذكر منها الكثير وهي متفرقة في سطور هذه الصفات ـ صفات المنافقين ـ.

٢١ ـ الكبر

ومن صفاتهم القبيحة الكبر والإعراض والتولي والشعور بالأنفة عن الحق أو عن دعاء رسول الله ﷺ أو عن قبول النصيحة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون: ٥)، فهم في موطن يحتاجون إليه وغيرهم من الصحابة يودون أن يستغفر لهم، فإذا بالكبر يطغى عليهم فَيَلْوُوا رؤوسهم ويصدون وهم مستكبرون، وإذا طلبوا الاستغفار فإنما هو

تُقْيـة وتصنع، كمـا قال تعـالى مكذبًا لهم: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (الفتح: ١١).

■ قال ابن كثير: يقول تعالى مـخبرًا رسوله بما يعتذر به المخلفـون من الأعـراب الذين اختـاروا المقـام في أهليـهم وشغلهـم وتركوا المسيـر مع رسول الله فـاعتذروا بشـغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة. اهـ.

٢٢ ـ إظهار الكفر بالكلام أو المسارعة إليه

قد عرفنا سابقًا أن هؤلاء يبطنون الكفـر كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة: ٨-١٠)، ويظهرون الإسلام، ولكنهم أحيانًا يصرحون بالكفر فتتفلت

من ألسنتهم كلمة الكفر أو يسارعون في الكفر، فقد قال الله فيهم: ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ﴾ (التوبة: ٧٤)، وقال: ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ (المائدة: ٤١).

وإذا دخل الأعداء عليهم بالقوة وطلبوا منهم الكفر لكفروا بدون تردد، لأنه أصلهم، فلا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وجزع، كما قال تعالى: ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً ﴾ (الأحزاب: ١٤)، بل وصل الأمر إلى أنهم يكفرون بمجرد وقوعهم في الفتنة فضلاً عن إرغامهم على الكفر، كما قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين (١٠) وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ (العنكبوت: ١٠-١١).